صحيفة المرأة المسلمة

العدد : ٢٠٥ الموافق في شعبان ١٤١٩ هجري ١ / ١٩٩٩ ميلادي

في ركب عباد الرحمن –١٢– : هذا الفصام النكد	بقلم : يمان السباعي

إن المتأمل في أحوالنا الاجتماعية ليعجب أشد العجب ، من مرض رهيب مدمر ، قلّ من لم يصب به في أيامنا هذه ، وهو النفاق ، أو ما يمكن أن نسميه اليوم - بعد وضع المساحيق واللمسات التجميلية - " إنفصام الشخصية " !! - تجاوزاً - ! .

فالأب يحب أبناءه ولكنه يمارس عليهم سيطرة عجيبة تحرمهم من التنفس والحياة ! والأم تعشق صغارها لكنها ما تفتأ تضربهم ليلا ونهارا ! والولد بارٌ بأمه .. لكنه يتصرف بأموالها ، ومسكنها ، وحريتها بعد موت والده ! والأخ يحب أخته لكنه لا يريد أن يعرف شيئاً عن مشكلاتها ، ولا عن حياتها ولا عن معاناتها ، ولو كان هو الأخ الوحيد لها ! والزوج يمتدح نفسه ويظن فيها النبوة، لكنه يعامل زوجته معاملة لا يرضاها الإسلام للحيوان البهيم ! والإمام الخطيب يتحدث عن حسن معاملة الأهل ، والتوسع عليهم ، بينما لا تجرؤ زوجته على مجرد الجلوس في الشرفة لتسلي نفسها ، دون إذنه !!.. والأب يطبق الإسلام لكنه يستولي على مهر ابنته ، ويحرمها حق استعماله ! والمفكر الأديب يتحدث عن الصحوة الإسلامية ، لكنه لا يستطيع مجابهة المجتمع وتغيير عاداته العفنة في تسهيل زواج ابنته وإلغاء المباهاة في المغالاة في المهور وإعداد العروس ، وتجهيز الأعراس !!! ... .

إنه من الظلم الشديد أن تكون معاملتنا للنساء في بيوتنا معاملة خالية من الاحترام والمودة والرحمة ، وأن يحرمن من حقوقهن المادية والمعنوية ، وحتى الإنسانية والشخصية ، بينما يكثر التشدق في نوادينا بالحقوق التي منحها الإسلام للمرأة ، فأقل ما يقال في هذا المجال: إنه انفصام نكد في حياتنا ليس له ترجمة إلا في قوله تعالى : " **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ❊ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ".

والعجب كل العجب أن هذا الوضع الشاذ الذي نعيشه يأخذ غالباً تفسيرات نسندها إلى الدين ، ويجد دائماً مرتكزات في الآيات والأحاديث.

فأنت تجد وفي كل مكان ومجلس وحدث وحديث ، من ينبري لك فيقول : " لقد سمح الله بنص كتابه بضرب النساء " ، ويكون هذا ممن التزم التقوى ، أما عامتهم فيقولون .. " لقد أمر الله بضرب النساء في نص كتابه " !!

هذا الفهم العفن ، الضيق ، القميء .. هو الفهم الذي نشأت عليه الأجيال .. وقد عميت البصائر ، أن

آية الضرب في القرآن نزلت وفقط في حق المرأة الناشز ، وأن الضرب لا يجوز إلا في استنفاذ الوعظ والهجر في المضجع !! لقد سمعت ورأيت خلال ثلاثين عاماً ، ما يندى له الجبين ، ويدمي الفؤاد من قصص تحكي سلوك الأزواج الذين لم يفهموا شيئاً قط من فن معاملة المرأة في بلادنا إلا الضرب والتقبيح .. فمن ضارب لزوجه لأنها راجعته في طبخةٍ اقترحها عليها ، ومن صافعٍ لوجهها لأنها اتفقت مع أمه أن تذهبا إلى عرس قريبة لهما ، وهو يصلي ، إذ أن الدين والتقوى كانا يقتضيان أن لا تتفق الزوجة مع أم الزوج إلا بعد أن ينهي الصلاة ، فتستأذنه حينها ، وتسأله : هل تأذن لي أن أتحدث في موضوع العرس مع أمك ؟!!!

وكم وكم .. من المرات التي سمعت فيها شكاوى زوجات طردن من المضاجع ، فبدلا من أن يهجر الزوج زوجته في المضجع يطردها من غرفة نومهما، ومن أعجب ما سمعته في هذا المجال شكوى أختٍ قالت أن زوجها طردها ، وحرم عليها دخول غرفة النوم حتى ينزل وزنها عشرة كيلوغرامات !!! وأعجب من هذا .. أنني سمعت هذه الشكوى سبعة عشر مرة من سبعة عشر أخت خلال السنوات الثلاث الأخيرة !!!.

إنها حقائق مزعجة ، مؤذية للسمع وللذوق السليم ، ولكن وهذا لا يعني أن مجتمعنا لا يعاني منها !!

لقد فقد الناس القدرة على فهم الإسلام فهماً واضحاً يرتقي إلى عظمة الإسلام ، ومتطلبات العصر الذي نعيش ، وتقلص معنى " النشوز " إلى أي اعتراض، أو أي رفع للصوت ،أو إبداء للرأي تمارسه المرأة في بيتها ، ولعل تعب المرأة من مزاولة أعمالها المنزلية ، أوفقدانها أعصابها في يوم اشتجر فيه أولادها ، يعتبر لدى البعض نشوزاً !!.

لقد فهمنا كتاب الله فهماً عقيماً واتبعنا أهواءنا بعدما جاءنا العلم فكنا من الظالمين ، الذين قال فيهم القرآن العظيم { **لا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ۞ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ۞ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون } [البقرة : ١٦٨-١٧٠]**

ولا يمكن أن أنسى قصة في هذا المجال .. روتها لي إحدى الأخوات التي تعاني مع زوج من هذا النوع حياة مأسوية ومنذ ثلاثين عاماً ، حيث قال لها ذات يوم... إذا لم تكفي عن الأذى فسوف أعلم ابنك - إبنهما - .. كلمتين لا يستطيع بعدهما أن ينظر في وجه امرأة قط أو يحترمها !!!.

من مثل هذه القصص أو هذه العبارات .. ندرك مدى الأمراض النفسية التي يعانيها مثل هؤلاء الذين

يسيؤون معاملة النساء إلى أبعد الحدود الممكنة ، ثم... هم يتهمون النساء بكفران العشير ، وسوء الخلق والشذوذ ، ومن ثم يطلقون عليهن الأحكام القاطعة بأنهن من سكان الجحيم !!

لقد أُصبنا بفصام نكد في أخلاقنا وسلوكنا ، فصام جعلنا نعامل النساء ونفهمهن ونعيش معهن من خلال سوء فهمنا لحالة الطوراييء التي فصل القرآن في معالجتها .. فهناك حرب مضمرة بين الرجال وأنفسهم .. حرب شهدوها وهم يشبّون في بيوتهم ويرون معاملة الآباء لأمهاتهم ، وأخواتهم ، حرب استعرت يوم جاؤوا إلى المساجد .. فلم يدرسوا من فقه النساء إلا أحكام الحيض والنفاس ، والطلاق مرتان .. دون أن يفهموا ما تلا هذه الآية من أن الأمر الصريح هو إما الإمساك بمعروف أو التسريح بإحسان ، فلا هم امتلكوا الشجاعة على الإمساك بالمعروف ، ولا تحلوا بالجرأة على التسريح بإحسان !! { **ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً** } [البقرة : ٢٢٩]

فكم وكم .. سمعنا عن رجل طرد زوجته بملابس نومها من بيتها في لجة من الليل ، وهويقول :

اسمعي قوله تعالى : { **ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزواً واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به** } [البقرة ٢٣١].

وقوله في سورة البقرة ذاتها التي نقلت منها هذه الجملة من الآيات التي يتلو كل واحدة منها ، حكماً فقهياً عظيماً من أحكام الأسرة في الإسلام : { **لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده** } إلى قوله تعالى { **واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير** } [البقرة ٢٣٣]

إن هذا الفصام هو أول ما يجب أن نعترف به لنعالجه ، فهو الداء الذي ابتلينا به .. والذي سبب شلل نصف الأمة ، فتمخض عن ذلك عطالة النصف الآخر الذي يربيه ذلك النصف المشلول ..

والذي جعل حياتنا جحيماً قبل أن ندخل الجحيم ، وجعل بيوتنا معاقل خصبة لولادة ظواهر العنف ، والتطرف ، والتعصب ، والخروج عن المنطق والمحاكمة .. وبالتالي .. استمرار هذه النكسة التاريخية الحرجة التي نعيشها إنسانا ، ومجتمعا ، وأمة.

-للحديث صلة-